

سمير قصير: البند الثقافي

حازم صاغية

من المؤلف، بالطبع، قتل الصحافيين والمثقفين والكتاب في مجتمعاتنا. لكن من غير المؤلف انخراط هؤلاء في أنشطة اعتراض مدني، واختيارهم مداخل هي، في وقت واحد، قاعدية جدا وسياسية جدا .

ولا يسع المرء هنا إلا أن يندكر أسماء تعد من تقاليد أخرى، في عداها فاكلاف هافل، المسرحي والشاعر التشيكي (التشيكوسلوفاكي يومها) الذي صودر جوازه في 1969 لأن كتاباته 'مخربة'، ثم ساهم في تأسيس 'ميثاق 77' الشهير لحقوق الانسان و 'لجنة الدفاع عن المضطهدين بغير حق'، قبل أن يساق، في 1979، الى السجن حيث قضى أربع سنوات، حتى اذا باشر النظام الشيوعي تصدعه، في 1989، أسس 'المنتدى المدني' .

وتستعيد الذاكرة المثقفين البولنديين جاسيك كورون وأدام ميشنيك. أولهما من أسس 'لجنة الدفاع عن العمال' (كور)، وهندس التحالف النقابي - الكنسي قبل ان يغدو المستشار الرئيسي لحركة 'التضامن'. والثاني، نزيل السجن لسنوات ست، شارك في تأسيس 'كور' وصار أحد خبراء 'التضامن' في 'مفاوضات الطاولة المستديرة' بينها وبين الحكومة، عشية تسلم الأولى السلطة الثانية من

يذكر المرء ايضا ابراهيم روغوف، الكاتب وأستاذ الأدب الألباني الذي بنى أول حزب غير شيوعي في كوسوفو، واستنبت الفكرة الرمزية عن الشال يلف به عنقه ما دام عنق بلاده مطوقا بالنيرو الصربي .

بيد أن معظم هؤلاء تحولوا، في بلدانهم وقد تحررت، رؤساء أو قادة أو وزراء أو مثقفين يحظون بالتبني الشعبي الواسع ورعاية الوطن بأسره. أما سмир قصير، اللبناني، ففضى بالطريقة التي قضى فيها ليس لأنه أسوأ حظا من المذكورين، بل لأن الوحشية التي تصدى لها أشد وحشية (بالمعنى الحرفي للكلمة) من تلك التي واجهتهم، وهي، في الوقت نفسه، أقل ثقة بالنفس فهم، وعلى عكس ما كان سмир يكتب، ليسوا 'نظاما' أمنيا، إذ التعبير هذا يفترض انسجاما وتناسقا بين أطرافه، بل أقرب الى مجموعات متنافرة تافهة، تنمو على فراغها وتعيش زمنها يوما بيوم كما تتأصل ضحاياها بحسابات يومية .

والحال ان الدور الثقافي في مواجهة سياسات القتل كان أحد العناصر الأبرز التي أسبغت الخصوصية على انتفاضة الاستقلال. وهنا، أي في الدور الذي لعبه سмир ورفاقه، يمكن البحث عن بعض مصادر التشبيه بأوكرانيا وجورجيا (تشبيه كرهه بعض الأضيق أفقا ومعرفة ممن يصيبهم بالدوار إسم قرية تبعد كيلومترين عن قراهم).

وبالمعنى هذا يمكن ان تكتب سيرة وعي حضر فيه الكوني الذي يحول دون الوطنية الموروثة، ووطنية العفوان والسندان، حضور العربي، الفلسطيني والسوري، بوصفه المدى الذي يحضن الوطنية اللبنانية حائلا دون شوفينيتها أو عنصريتها. الا انها سيرة لا بد ان يتوجها استقرار صاحبها عند الوطنية اللبنانية الديمقراطية والحديثة. وقد يقال بحق ان حساسية اقليمية ما أسست لدى سмир قصير النفور والقرف من سياسات 'الرعاية الاقليمية' السورية حبال منظمة التحرير الفلسطينية. لكن المؤكد ان العقد ونصف العقد الأخيرين سجلا انزياحا متعاضما لمصلحة التعامل مع المسألة الوطنية اللبنانية بصفتها موضع التركيز ومصدر الأحكام. وما من شك، هنا، في أن العيش في الوطن، والاستجابة لتحديات مجتمع بعينه، يبلوران وعيا غير الذي ينشأ في المهاجر حيث يفتقر البحث عن 'الحق' و 'العدل' الى ما يرتكز اليه أو يتجسم فيه .

وبالعودة الى ما كتبه سмир في السنوات الاخيرة، بكمه ونوعه، والى فكرة العلم الذي أراده شالا للمعارضين، فضلا عن مقتله، يمكن الجزم بأن الموضوع هنا يمكن

وقبل سмир قصير كتب جاسيك كورون، الصادر أصلا عن وعي ماركسي، يقول: 'أكثر ما أرغب فيه هو ان أكون اشتراكي'

ديموقراطية في بلد رأسمالي عادي. لكن لأجل هذا، علي أن أبنّي هذا البلد الرأسمالي العادي أولاً!.

الموضوع: عام

المصدر: الحياة

---